

الدعوة للطاعة

يسوع يُكرم المحبة أكثر من العمل

يسوع يُكرم المحبة أكثر من العمل

إن كل واحد منا موجه نحو العمل. فنحن نعيش في عالم من الدرجات: في المدرسة، وفي الرياضة، وفي العمل. يتم التعبير عن نتائج اختباراتنا بالنسب المئوية. فنحصل على نسبة ٧٣ أو ٨٤ أو ٩٩ بالمائة. لذلك من الطبيعي أن نتخذ بوعي أو بغير وعي، هذه العملية في تقييم النفس في الحياة المسيحية. ففي داخل أي إنسان مسيحي جاد يوجد ذلك السؤال المستمر في نهاية اليوم. هل فعلتُ كل الأمور الصحيحة اليوم؟ هل أَرْضِيْتُ ربي اليوم في كلامي وفي سلوكي وفي أفعالي؟ (لاحظوا أنني لا أكتب اليوم إلى الأشرار أو إلى المنحرفين بل أكتب حصرياً للقديسين).

كلما كان ضمير الإنسان أنقى، زاد ميله إلى الذهاب للنوم ومعه إحساس بأنه مفقود لكمال الصواب، مع وجود إدانة الذات في داخله. إن إبليس المشتكي على الإخوة (رؤيا ١٢: ١٠)، موجود دائماً بالطبع، ليعمل على تغيير تقييمنا إلى مزيد من الانحدار. ويسقط قديسون عديدون في هذا الفخ كثيراً، فيسلب منهم فرح الرب وسلام الله الذي يفوق كل عقل. والمثير للاهتمام إن مشكلة التقييم كلها موجودة لدى البشر منذ فجر التاريخ. إننا جميعاً على دراية بشهادات بعض أعظم رجال الله. فالكثيرون منهم وجدوا أنفسهم مثلنا في بعض الأحيان في بالوعات تجريم الذات. الأمثلة على ذلك كما يلي:

شعر موسى أنه غير مستحق وغير مؤهل لإخراج بني إسرائيل من مصر. ها هي شهادته: "فَقَالَ مُوسَى لِلَّهِ: مَنْ أَنَا حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَحَتَّى أَخْرِجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ؟" (خروج ٣: ١١). كم مرة دعاك الله للقيام بعمل معين فنقول له: "من أنا"، مدعيًا أنك تعرف ذاتك أكثر من معرفة الله بك وهو الذي دعاك؟

تكلم داود، هو رجل حسب قلب الله، فقال في إدانة ذاتية لنفسه: "أَمَّا أَنَا فَدُودَةٌ لَأَ إِنْسَانٍ. عَارٌّ عِنْدَ الْبَشَرِ وَمُحْتَفَرُّ الشَّعْبِ" (مزمور ٦: ٢٢)؛ "نُسِيتُ مِنَ الْقَلْبِ مِثْلَ

الْمَيْتِ. صِرْتُ مِثْلَ إِنَاءٍ مُتْنَفٍ" (مزمور ١٢: ٣١). وقد ناقض نفسه لأنه قال في المزمور إن الله في كل مكان وإن عينه على شعبه.

اضطرب إيليا بشدة لدرجة أنه قال باكيًا طالبًا الموت لنفسه: "قَدْ كَفَى الْآنَ يَا رَبُّ. خُذْ نَفْسِي لِأَنَّي لَسْتُ خَيْرًا مِنْ آبَائِي" (ملوك الأول ١٩: ٤). هذا خطأ.

لعن أيوب يوم ولادته (أيوب ٣: ١)، لكن الله قال عنه إنه رجل كامل.

كل هؤلاء الرجال العظماء أخطأوا في الحكم. أما رأي الله عنهم فهو إنه وفر لعائلتي موسى وإيليا نفقات الجنازة وتقابلا مع الرب يسوع على جبل التجلي. وامتلا سفر المزامير بكتابات داود. وبارك أيوب في النهاية أكثر من البداية.

لقد عرف كل واحد من هؤلاء الرجال كيف يذهب إلى الفراش وهو مهزوم. كما كان لدى التلاميذ أيام سيئة. سيستمر كل أمر قياس قيمتنا لدى الله من خلال أدائنا، تهديدًا لنا حتى نهاية الزمان. نصحنا بولس "أن نفحص ذواتنا"، لكنه لم يقصد أبدًا أن يكون فحص الذات أسلوبًا للحياة. كان شعاره: "لَأَنَّ لِي الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رَبِّحٌ" (فيلبي ١: ٢١). والسبيل الوحيد للخروج من انحطاط الذات هو إدراك أن الله لا يقيسنا حسب أدائنا، بل حسب محبتنا للرب يسوع. في الواقع، في ملكوت الله، محبتنا للرب يسوع هي أدائنا. وما يتطلع إليه سيدنا هو قوة للرغبة في أن نكون معه، وأن نسكن فيه وأن نثبت فيه، وأن نستمر في الشركة معه، وأن نرضيه. وكل شيء آخر أمر ثانوي في أحسن الأحوال، وينبغي فقط أن نتلامس معه مباشرة بالروح القدس. لأن القديسين يعيشون في محيط من الحب الأبدي اللانهائي، فإن الله يستاء بشدة عندما نوشك أن نخلط علاقة الحب تلك بالسلبيات عن أنفسنا أو الآخرين.

بالإضافة إلى ذلك، من الواضح إن عملية تقييم الذات هذه لا يمكن الاعتماد عليها أبدًا. فهي ينقصها دائمًا الموضوعية. دائمًا تفسد بمشاعرنا كما في حالة إيليا. لذلك لا يمكن الوثوق بها. في كثير من الأحيان لا أعرف حقًا إذا كنت عدوانيًا أو متحفظًا في شهادتي. وعاجلاً أم آجلاً يتهافت الشيطان عليّ بسبب كيفية معالجاتي للأمر. هذا ينطبق على معاملاتنا مع الناس. يمكنني الانطلاق بسهولة في أي يوم أشعر فيه بالهزيمة.

إنني أرفض على الإطلاق الذهاب إلى الفراش ومعني قائمة بمراجعة كيفية عملي. ولكن هذا ما يريدني الشيطان القيام به. يريد أن يعذبني الآن لأنه يعلم أنه لا يستطيع

أَنْ يَعْذِبَنِي فِي الْجَحِيمِ، لِأَنْتِي لَنْ أَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ. أَوْدَ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ أَنْ أَسْأَلَ نَفْسِي السُّؤَالَ الَّذِي طَرَحَهُ الرَّبُّ يَسُوعَ عَلَى بَطْرُسَ قَبْلَ صُعُودِ الرَّبِّ يَسُوعَ: "يَا سَمْعَانُ بَنُ يُونَا، أَتُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ؟" (يُوحَنَّا ٢١: ١٥)؟ يُمْكِنُكَ تَكْبِيرُ السُّؤَالَ فَتَقُولُ: هَلْ تَحْبِنِي مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَرُوحِكَ وَعَقْلِكَ وَقُوَّتِكَ؟

مَرَّةً أُخْرَى، هَذَا هُوَ الْإِخْتِبَارُ الْوَحِيدُ الَّذِي أُرِيدُ أَنْ أَقْدِمَهُ لِنَفْسِي فِي نَهَايَةِ الْيَوْمِ. إِنَّهُ لَيْسَ سُؤَالَ صَعْبًا. إِنْ كُنْتَ تَحْبُ الرَّبَّ يَسُوعَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَأْتِيَ الشَّرُّ مِنْ ذَلِكَ وَهَذَا كُلُّ مَا يَهُمُّ. دِينُونَةَ ضَعِيفَةً نَعَمْ، لَكِنِهَا لَيْسَتْ شَرِيرَةً. لَا يُمْكِنُ أَنْ يَجِدَ الشَّرُّ مَوْضِعًا لَهُ فِي دَاخِلِ الْمَحَبَّةِ. عِنْدَمَا قَالَ بَطْرُسُ نَعَمْ لِهَذَا السُّؤَالَ، أَجَابَهُ الرَّبُّ يَسُوعَ أَنْ يَرَعِيَ خَرَافَهُ. يُمْكِنُ لِبَطْرُسَ حِينئِذٍ أَنْ يَنَامَ جَيِّدًا وَأَنْ يَرَعِيَ الْخَرَافَ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي. فَإِنْ كُنْتَ تَحْبُ الرَّبَّ يَسُوعَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَرَعِيَ الْغَنَمَ وَالْحَمْلَانَ بِطَرِيقَةٍ أَوْ بِأُخْرَى.

وَإِحْدَى الْفَقْرَاتِ الَّتِي تَظْهَرُ كُلُّ هَذَا بِبِرَاعَةٍ مَوْجُودَةٌ فِي إِنْجِيلِي لُوقَا (٢٢) وَيُوحَنَّا (١٣). وَهُنَا نَجِدُ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي أَحْلَاكَ اللَّيَالِي. فِقَبْلَ أَكْلِ الْفَصْحِ نَسَى كُلُّ التَّلَامِيذِ أَنْ يَغْسِلُوا قَدَمِي الرَّبِّ يَسُوعَ. أَدَاءٌ سَيِّئٌ. بَعْدَ أَنْ قَالَ الرَّبُّ يَسُوعَ إِنَّ الْخَبْزَ وَالْخَمْرَ يَشِيرَانِ إِلَى إِخْلَاتِهِ ذَاتِهِ وَتَوَاضَعَهُ عَلَى الصَّلِيبِ، تَجَادَلُ التَّلَامِيذُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، مِنْ هُوَ الْأَعْظَمُ بَيْنَهُمْ. أَدَاءٌ سَيِّئٌ. مَا الدَّرَجَةُ الَّتِي تَعْطِيهَا لَهُمْ بَعْدَ أَنْ مَكَّثُوا ثَلَاثَ سِنَوَاتٍ مَعَ الرَّبِّ يَسُوعَ؟ عَرَفَ الرَّبُّ يَسُوعَ بِالطَّبَعِ أَنَّهُمْ خَلَالِ سَاعَاتِ سَيْنَامُونَ وَهُمْ مَعَهُ فِي بَسْتَانَ جَثْسِيمَانِي. أَدَاءٌ سَيِّئٌ. كَمَا عَرَفَ أَنْ بَطْرُسَ سَيَنْكُرُهُ. أَدَاءٌ سَيِّئٌ.

مَا تَقْيِيمُ الرَّبِّ يَسُوعَ لَهُمْ؟ إِنَّهُ لَا يَعْطِي تَقْيِيمًا لِلنَّاسِ. وَلَيْسَ عَلَيْكَ تَقْيِيمُ النَّاسِ. سَتَجِدُ رَاحَةً رَاضِيَةً فِي دَاخِلِ رُوحِكَ بِمَجْرَدِ أَنْ تَتَوَقَّفَ عَنِ تَقْيِيمِ النَّاسِ وَتَبْدَأَ فِي تَقْدِيمِ الْحُبِّ لَهُمْ حَيْثُ هُمْ وَإِلَى حَيْثُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا. وَعَوِضَ أَنْ يُوْبِخَ الرَّبُّ يَسُوعَ تَلَامِيذَهُ بِسَبَبِ عَدَمِ الْكِفَاءَةِ، فَعَلَّ أَمْرًا لَا يُمْكِنُ تَصْدِيقَهُ. فَقَدْ كَمَلَ نَقْصَهُمْ وَكَافَأَهُمْ وَشَجَعَهُمْ وَوَضَعَهُمْ عَلَى قَائِمَةِ الشَّرَفِ فِي السَّمَاءِ قَبْلَ صَلْبِهِ بِسَاعَاتٍ. وَحَتَّى بَعْدَ أَنْ فَشَلُوا فِي غَسْلِ قَدَمِيهِ قَالَ لَهُمْ إِنَّهُ يَشْتَهِي أَنْ يَأْكُلَ الْفَصْحَ مَعَهُمْ (لُوقَا ٢٢: ١٥). كَانَ يَتَغَذَى مِنْ حُبِّهِمْ لَهُ. لِذَلِكَ قَالَ بَعْدَ الْعِشَاءِ: "أَنْتُمْ الَّذِينَ تَبْتُؤُوا مَعِي فِي تَجَارِبِي، وَأَنَا أَجْعَلُ لَكُمْ كَمَا جَعَلْتُ لِي أَبِي مَلَكُوتًا،

لِتَأْكُلُوا وَتَشْرَبُوا عَلَى مَائِدَتِي فِي مَلَكُوتِي، وَتَجْلِسُوا عَلَى كُرَاسِيٍّ تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الْإِثْنَيْ عَشَرَ" (لُوقَا ٢٢: ٢٨-٣٠).

يبدو لي أن الرب يسوع في أكثر ليلة مؤلمة له قدم لتلاميذه هدايا عيد الميلاد. كم نحن ضئيلون في التشبه به! في هذه الليلة أعطى الرب يسوع لتلاميذه أكثر من أي شيء قدمة لأي إنسان آخر من كرامة ومجد، وملكوتًا وعرشًا. تعالوا نفكر في الأمر، فإنه برغم افتقارهم للأداء، كانوا في الواقع جميعهم عظماء في نظر الرب يسوع. لأنهم أحبوا. مرة أخرى لم يقيم بتقييمهم على أدائهم ولكن على محبتهم التي جعلتهم يتركون كل شيء ويتمسكون به في كل الأحوال السراء والضراء، ولم يفشلوا في عمل أي شيء يطلب منهم القيام به. هل يمكنك أن ترى مدى تقدير الرب يسوع للأمانة سنة بعد سنة؟ هل أنت أمين ومخلص للرب ولراعيك ولشريك حياتك؟ في النهاية، يعتمد دخولك إلى الملكوت على أمانتك، لأن الأمانة والإخلاص هما أنبل ثمرة للمحبة. يا صديقي، إن الأمر متعلق بالمحبة، والمحبة لا تفشل على الإطلاق في إرضاء الرب. هليلويا. لا تضع لنفسك معايير خاطئة. فهذا الوضع يمكنه أن يقتلك. ومثلما أحب الرب يسوع تلاميذه آنذاك، فإنه يحبهم الآن (يوحنا ١٥ : ٩). وعلى العكس، فإن محبة شعبه له هي أعظم مسرة له. وقد أعطى التلاميذ للرب يسوع هذه المسرة في ليلة آلامه. يمكنك الآن أن تقدم له ذلك في كل وقت.

لذلك، توقف الآن عن التشويش والندم رثاء الذات والآخرين. قدم ذاتك للحب وبذلك تتم كل الناموس والأنبياء وتذوق أشهى ما في ملكوته.

لمزيد من مقالات القس اسشولتيز قم بزياره لموقعنا www.schultze.org

Reimar A.C. Schultze PO Box 299 Kokomo, Indiana 46903 USA